

قصة قصيرة

جريئة
في
بجرام

محمد عبد الكريم عيسى

NEVER TOUCH MY PHONE | CAUTION

جریمۃ فی بحری

محمد عبدالکریم عیسیٰ

نوع العمل : قصة قصيرة

الكاتب : محمد عبدالكريم عيسى

تصميم الغلاف : سحر عبدالحميد

تصميم داخلي : سارة عيد

تعبئة وتنسيق : سارة عيد

فريق عمل بوقار " بيت الأدب " للنشر الإلكتروني

<https://www.facebook.com/DarBovaar>

بيت الأدب

بوقار

بيت الأدب

اهداء :

إلى تلك الطاهرة النقية فاطمة بنت محمد أسأل الله أن

يحفظك من كل سوا

بيت الأدب

أنا أيضًا عبرت ذلك الجسر

الطيب صالح



حكومات تڄي و حكومات تغور تحكم بالحجي بالدجل الكجور

مصطفى سيد احمد

بيت الأدب

المقدمة

في فناء هذا الدنيا ثمة كثيرا من المشكلات تواجهنا،

هناك حلول بسيطة سهلة يمكن أن يتطرق إليه المرء، وهناك حلول معقدة، في هذا الرواية كان يمكن أن يتطرق تلك الحلول البسيطة الذي كان سهلاً جداً، ولكن هناك ثمة عقول ضعيفة لا تفهم إلا بالقوة أو بسفك الدماء، ولكن هل الدم وسيلة للهروب من الواقع؟.

بيت الأدب

الفصل الأول

لم أتوقع قط حين أتخرج سكون في هذا الحال المزري ثلاثة سنين بوجه
تحديد اتسكع من بين الوكالات التوظيف و المكاتب الخاص حتي لم أتخلي
عن البحث في الوكالات التوظيفية المؤقتة، بعد بحث طال شهور في
العاصمة المثلثة لم أجد أي وظيفة، قررت العودة إلى قريتي، علي
أستطيع مساعدة والدي في أعمال الحقول و الآن موسم زراعة القمح،
فصل الشتاء معنيه بزراعة القمح، انحصرت زراعة القمح في السودان في
الشمال أكثر المناطقه زراعنا ذلك لملائمة الظروف البيئية للزراعة.

المزارعون ينتظرون هذا الفصل من العام بالتحديد لأنه فصل يكثر فيه
النعيم ينبت به الخيرات، العصافير تحلق فوق سنابل القمح تعزف علي
أوتار الرياح فتصنع صوتا كلاسيكية عزبه فيثنرو البهجة و السرور في
وجوهه الفلاحون، الفلاحون السودانيون بمقياس العالم الزراعي هم

فلاحون أغنياء جدًا ولا تعول عليهم كوارث الحصادية في موسم الحصاد
فقط يرضون بقسمة الله فتجد الفلاح في الحصاد لم يفني شيئاً من حلقة
يكاد في يده قندول أو قندولين من القمح أو شتى أنواع الذرة فتجده بشكر
الله علي هذا النعمة الفشل نعمة و النجاح نعمة فاحمد ربك علي كل
نعمة.

الآن أنا راجع إلى داري و كلي خيبة أمل كيف لي مواجهه والدي الذي كان
ينتظر من ابنه أن يصبح من أفضل المهندسين علي مستوى السودان
والعالم،

يا والدي إن الشهادة الجامعة لا تعني شيئاً في هذا الزمان، إذا ليس لديك
واسطة حتمًا لم تجد عمل(الواسطة هو الوسيط بين الموظف و الشركة
حيث الوسيط هو من يقدم الموظف للشركة)

دائماً قصص والدي المغامرة تجعلني ملهم جدا في الشغف و المغامرات
حيث والدي عمل في كثيرا من الدول العربية، حيث بدايته رفض الرعي
بعد داول مهنة الرعي عامين وجه تحديد، وبعدها رفض وسافر المملكة

العربية السعودية، عمل سائق في إحدى شركات المملكة

البري في الرياض ثم في العراق عمل ولبنان وليبيا إلا أن إنتهى به المطاف
ثم عاد إلى الوطن بعد خمسة عشرة عامًا ثم تزوج والدتي واستقر في
الزراعة من الفول و القمح العدس و اللوبية حتى القطن.

والدي كان يخبرني بكرم السعوديين وشخامة أهل العراق و عن لبنان
وتعدد ثقافته وعن ليبيا وحسن الضيافة كنت استمتع بوقتي و أنا أسمع
قصص طريفه و مواقف مضحكه و محزن حصل مع والدي في الغربية وكل
قصة مثيرة من الآخر.

سحت عني الحياة ، شغلتي كثيرا بالبحث عن وظيفة أتذكر قبل عام
أتيت الخرطوم في الحر الشديد، لم أفكر بشئ عندما رأيت تلك الوظيفة
في إحدى الجرائد بالصدفة في السوق(مطلوب مهندسة معماري)

كنت غيباً جداً لم أطلع علي باقي الجريدة أقصد لم اكمل قرأه.

هرعت فوراً عندما وقع في عيني جملة(مطلوب مهندس معماري)

أخذت الرقم ثم اتصلت لهم، طلبوا حضوري في خرطوم بحري شارع
الإنقاذ غرب مصنع السيسي

بيت الأدب

كدت أطيّر من الفرع، وأخيراً بدأ الحلم يتحقق.

وقفت في شارع الإنقاذ الحر شديد للغاية كنت أشوي ببطء ترجلت ثم
دخلت في إحدى الشركات.

إستقبلني المدير بهفوة مكتبة جميل جداً من مظهره يعكس مدى نجاح
الشركة ومدى قوة علاقاتها التجارية مع باقي الشركات ومع زبائنه،

طلب لي قهوة وطلب لي نفسه شاي، سألني عن الشهادة

أخرجت له الشهادة من جيب حقيبتى الصغيرة مدت له بدوره إستلمه،

نظر إليه نظره سريعة عابره ثم فجأة إلتفت اليه وقال " أين شهادة

الخبرة!؟"

- يا سيدي لم أظن بوظيفة قط إنه أول تقديم اقدمها في شركتكم

العريقة.

قلته و أنا أبلع ريقى منتظراً ردة بكل لهفة

بيت الأدب

نظر إليّ مطولاً من تحت ثقب نظاراته

كنت أراقب حركة شفته ما لبث وإن كاد ينطق حتى دخل علينا إحدى

العملات في الشركة وهي تحمل كوبين في صحن ألومنيوم أحدهم قهوة

وهولي والآخر شاي للمدير.

وضعت القهوة أمامي في التنكة متوسط الحجم منقوش عليها الزخرفات الجميلة.

رشفت القهوة بدأ طعمة ليس كطعم القهوة المنزلية

القهوة المنزلية مذاقها حلو ورائحتها تجذبك ليس كما في الأسواق و المكتبات.

قال المدير بغم المملوء " تقديمك مرفوض نحن لا نقبل أي موظف بدون

خبرة عملية مسبقة "

قالها بكل جرأة ووقاحة

بيت الأدب

– الآن تفضل

يا لها من أسلوب مستفز

غضبت جدا من تصرفه الغير شرعي حتي أنني لم أنتهي من إحساء

القهوة

خرجت من مكتبة لم أتفو بشئ.

انا خريج من أفضل الجامعات السودانية و بإمتيازوها هنا لأن أرفض من التوظيف بكل تفاهها.

الدنيا أصبحت مصالح والكل يجري حلف المال كالكلاب تجري حلف العظام الذي لا يكساها اللحم غير العظام وما فائدة العظام دون لحم وما فائدة الحياة دون إحترام و محبه.

هناك مخيمات لاجئين لا يتوفر لديهم الماء ولا الأكل

منظمات كاذبة دولة تدس علي المواطنين كثيرا من الأمور السياسة، بيع الأراضي؛

هناك من يعيش في رفاهية وهناك من يعيش في ضيق هناك من يموت جوعاً وقهراً.

علينا فك تلاسيم هؤلاء المستقوين، ثمة أناس كتيرين يحلمون بحياة
كريمة ثمة أناس كتيرين يحلمون بعيشه في هدوء يتحلل أصوات ضحكات
اطفال وزغاريد حيث الفرح الدائم.



الفصل الثاني

وقبل أن أخرج سمعت صوت المدير

– إذا كنت تريد تعال في مزرعتي في شرق النيل تعال هناك كي نتفاوض.

ماذا يقصد بكلمة تفاوض!؟

التفاوض العملي الذي أعرفه في المكتبات وليس في المزارع لم أفهم ما يشير إليه كنت غاضبًا فحسب.

لم أعر أو ابدي اي إهتمام بكلمه الغامض خرجت من المكتبة أغلقت حلفي الباب بقوة حتى فدعة بعض الموظفين؛ رموقني بنظرات بها حيرة و استفهام لم أتوقف قط،

سرت بكل كبرياء رافعًا رأسي صدري منتفح و كأنني مالك الشركة.

أظن هاتف حرس الباب الذي منعي من الخروج

– قف يا رجل

لم احرك جفن سرت نحو الباب الرئيسي إلي يؤدي إلى الشارع دون مبالاة.

هرول الحرس نحوي و بحركة بهلوانية حاول ضربي بعصا (هراوة) الأسود

إستطاع ضربي بعد ثلاثة محاولات مني للتصدي ولكن ما إن لبث في المرة

الرابعة،

حتي لكمته لكمه قوية سقط أرضاً

في حين كنت أريد الفرار من جريمتي الشرعية ولكن تفاجأت من هول

الصدمة.

تلك المدير السمين أحضر الشرطة. ثم قبضوا علي بتهمة الأعتداء علي

الحرس دون ذنب.

قضيت يومٍ في السجن إحدى سجون بحري

السجن منزل الرجال لا بأس بها عند بلوغنا في مرحلة من مراحل النضج
الذنوي لآبد من المرء أن يتذوق طعم السجن ومرارته، لأن السجن تصنع
الرجال الآن أنا أصبحت في قمة الرجولة، أره نفسي رجلٍ مكتمل لا يهاب
ظلام السجون

الدافع الأساسي للإنسانية هو أن يولد و يدخل السجن وبعدها يصبح
رجل، إذا لم تدخل السجن فأنت لست برجل بعد.

كنت أجلس في إحدى زوايا الزنزانة دافناً رأسي ما بين ركبي، قطع تفكيري
صوت الزنزانة وهي تفتح.

– قم يا فتى رئيس القسم يريدك

قالها البوليس بحد وهو ينظر إليه

ثم رحل

في مكتب رئيس القسم جلست في الكرسي المقابلة للرئيس، أعلم أنهم لي

يحضرو لي قهوة وإنما يريد أن يأخذ إفادتي لا أكثر إكتر الصمت

حدق إلي من فوق لي تحت، و بعد سماع إفادتي وقبل أن يغلق الملف

سمعنا صوت من الخارج صوت قوي

ميزته إنه مدير الشركة الاشحظ ذوي البطن الكبير فور رؤيتي إبتسم

إبتسامة خبث حتي ظهر أضراسها الصفراء وجه شاخب ثيابه رثة رائحته

سئ ركبته تكاد تلامس الأرض قصير.

جلس علي كرسي الذي يقابل كرسي ثم إبتسم طارة أخرى بمكر، أسنانه

صفراء حتي أكاد أراه بعض من الطعام المعلقة؛

أردف قائل للرئيس القسم :

– هناك بلاغٍ أخرى يا خضرة الضابط !!

– ما هو ؟

قالها الضابط دون أن يمعن النظر إليه كان يلقي النظر إلى بعض الملفات
في كبد الطاولة.

– محاولة اعتداء علي شخصية!

يا له من وقحة يريد أن يلف التهم الكاذبة حول عنقي
ألا يحجل من نفسه.

– هل هناك شاهد أعيان؟!

– نعم يا سيدي

– أحضره

– أدخل يا غلام

دخل تلك الشاب الذي أحضر لنا القهوة و الشاي حسبت بأنه شاب
محترم ولكن كنت مخطئ الآن لقد وقعت في مكرهم،

قال الشاب بأنه لحظة دخوله إلى المكتبة راني اعتدائي علي مديره و كنت
أمسك من لايقه قميصه من ما أسرع هو ليفك يدي من قبضه اليقه و
بعدها هربت فوراً ثم أغلقت الباب بقوة حتى كاد أن يكسر.

– كذب كلهم كاذبون

قلتها و أنا من فعل

– أصمت لم اطلب منك التحدث

قالها الضابط غاضباً.

كنت قد أعطيت لتلك الشاب العشريني كل الإحترام والتقدير، حين ما
أحضر لنا الشاي، شاب في منتصف العشرين يكذب بأمر من مديره الذي
يخاف الله و يكذب بكل جرأة دون حياء.

تذكرت الآن قبل دخولي إلى مكتب مدير الشركة رأيت هذا الشاب وهو
يقرب من المدير أو أعلم ماذا حدث بينهم لكن خيل لي وكأنه يهمس له في
أذنه سر.

ولكن لماذا يهمس له وهم وحدهم في غرفة مغلقة لا يسمع حديثهم سوا
الجدران

أمر عجيب أهو قبله؟؟؟ أظن كذلك

الآن فهمت ماذا يلمح له عندما قال " تعال في مزرعتي "

تبا لكم عليكم لعنه الله قلتها في سري حين ما طلب الضابط من البوليس
أن يرافقني إلى الزنزانة المشؤوم.

الفصل الثالث

وقبل أن يرحل مدير الشركة قال (مثل هؤلاء الشباب لم ينجحوا في

حياتهم طالما لم يلبوة طلبات مدرائهم المستقبليين) ثم رحل

الضابط لم يفهم كما فهمته أنا وبذات كلمته الأخير(يلبو طلبات) ظنه

أحد طلبات التقديم من حيث الشهادة الجامعية أو شهادة خبره أو شهادة

خدمة وطنية..

المواطن العاصمي ليس كمواطن الريفي، هناك في الريف يتوفر لدينا

العدل نحل مشاكلنا التي تواجهنا دون تدخل الحكومة ولو أن نقط

البوليس بعيد جدًا من القرية، لا يوجد مشكلة يهزنا نحله بكل برودة

كحقل الجليد لا نأبى بشيء.

هناك في الريف لدينا التواصل الدائم و المحبه و السلام، العيش في

بساطه و عدم حمل اي هم لا ندفع فواطير الكهرباء ولا مياه ولو أننا في

حقيقة ليس لدينا كهرباء و نجلب المياه من النهر بواسطة الحمير وفي بعض الأحيان، نسائنا يحملن المياه في طيات رأسهن، ناس الأرياف متينات جدًا، يتحملن كل الظروف البيئية.

أما هنا المواطن يمرق كي يوفر لقمة العيش تجد أحدهم يخرج من منزله من الرابعة صباحًا لا يعول إليه إلا العاشرة مساءً، تذكرت فجأة حديث جارنا في الفتيحاب (أحد أحياء أم درمان) في تلك اليوم يوم جمعة بينما كنا نمكث تحت ظل شجرة النيم بقرب من منزله، كنا متجمهرين نحتسي الشاي في صباح الباكر ما زال الطير في وكناتها، قال أحد الحضور (عبدالحميد جارنا) قال بأنه لم يراه إبنة الوحيد أكثر من الشهر إلا اليوم وجده وقد كبر قليل ثم أزرفه بعض من الدموع ثم اكمل حديثه قائلاً : (كنت في السابق أراه إبني من الجمعة إلى الجمعة، واليوم أقسم علي زوجتي إن لم أبيت مع إبني سوف تطلب مني الطلاق)

تم فجأة عن سرد الحديث وهو سارحًا في الأرض

الكل كان متشوقًا لإكمال قصته ولو أننا كلنا نعلم صعوبة و قسوة

الحياة، إذا نظرت في وجوه الحاضرين تجد في كل وجه قصة و كل قصة

أغرب و أدهش من الآخر.

ثم أكمل عبد الحميد :

و قد زاد شهيق بكاءه الكل أصبح يضع كفه في كتف عبد الحميد، تعاطفا

معه حقيقة الموقف قد دق وتر حساس في قلوبنا

– (إنه مأساة الحياة يا رجل تحمل من أجل أبنيك و زوجتك) قالها احمد

عمر وهو يسمح الدموع من وجنتيه.

أكمل عبد الحميد بعد طلبنا منه أن يهدأ قليلًا وأن الحياة لا يحتاج إلى

كل هذا العناية.

– اليوم عند ما صحوت وجدت إبني يركض و يلعب في فناء المنزل و عندما وجدني، هرول إلى والدتها ثم (أمي هل هذا هو أبي) هل تصدقون لم يتعرف علي.

زاد شهيق البكاء وكلنا بكينا معه، الكل أصبح يواسي عبد الحميد و يقول له (بتهون يا أخوي بتهون الله كريم الصبر بس)

أما في الريف الأمر مختلف، حيث تجد المرء يقضى جل أوقاته مع أبنائه، يلعب معه، نعلمهم معنى الحياة.

نراجع معهم دروسهم اليومية حب و حنان لا نترك لهم ثقرة للحزن أو الفراق. ندندن معهم أناشيد الوطن الحياة هناك جميل جدًا.

إستيقظت علي ضوضاء الخرطوم حيث البرد القارص

الضباب يكثف كل ضواحي العاصمة كم وضح لي من نافذة الزنزانة،
حيث رأيت غيوم ضباب ساكنه في الأفق علمت بأن الضباب تفشى في كل
ربوع الخرطوم.

صوت السيارات، أطفال الشوارع باعوا الجرائد بي مكروفوناتهم (خبر
عاجل) عندما سماع كلمة خبر عاجل الكل يأتي في نفسة غريزه الفضول
الكل يريد أن يعرف ما هو الخبر العاجل.

نهيق الحمير، طقطقة آلات الطرازي (أله يخيط بها الأقمشة حيث يصنع
منه الجلابيب و البنطلون و الأقمصة) رائحة الفول، و شواء اللحم، و
أصوات المجانين يدندنون و ينغنون، و شاربي السجائر،

الكل يصحى لابحث لقمة عيشة.

أحضر الضابط بنفسه كوبٍ من اللبن الساخن و مع بعض من اللقيمات
قدمه لي بكل لطف و حنان،

أما أنا بدوري كنت مندهشاً، ماذا يعول إلى الضابط حتى أحضر لي لبناً
بنفسه ولماذا لم يحضر لي شاي.

أصبح الأسئلة تدقق جمجمتي وأنا في حيرة من أمري.

أمسكت بكوب اللبن، شكرته على حسن ضيافته.

يومان وأنا في السجن لم أخبر عائلتي قلت لهم أنني أقصى وقتي مع أحد

أصدقائي وقد سافرنا إلى مدينة (ود مدني) أعلم بأن حيلتي قد نجح في

إقناع و أستطع أن اراوغ والدي بهذا الحجة ولكن ما هو مصيري، ما

شعورهم عندما يعلمون بأن إبنهم في السجن وليس في مدينة ود مدني

لا يهم سوف أخرج عما قريب.

الفصل الرابع

بعد يومان

الوقت يشير إلى منتصف الليل كنت جالساً في الظلام الدامس على أحد أركان الزنزانة دافناً رأسي ما بين فخذي، ثم فجأة سمعت صوت المفتاح وهو يدخل في القفل، رفعت رأسي لأجد الضابط واقفاً، بجسده الضخم،

كانت الأضواء حافضه، و الظلام يعم إرجاع الزنزانة،

هناك مصدر ضوء من الزنزانة المجاورة لكن الضابط سده بجسده الضخم، إستطعت أن ألمح تعابير وجهه قد بدأ لي غير الوجه الذي تحدث

معي قبل ثلاثة أيام

وجه أصبح اجهش بدأ مأكراً و حبيثاً قدر.

لم استطع معرفه ماذا يريد في هذا الوقت المتأخر من الليل ولماذا لم

يذهب إلى منزله!!؟؟

و بحركة بهلوانية أنزل بنطلونه ثم أردف قائلٍ

(يا فتى دعنا نمارسه بسرعة و غداً أوعدك بأن تكون حراً طليق)

لم أفهم ما يلمح إليه، أنا أعلم بأن الممارسة تتم بين الذكر والأنثى ولكن

ذكر مثله هل يراني أحمل مهبلٍ

ثم أتضح لي بأن الضابط و مدير الشركة لديهم نفس الصفة المشترك ألا

وهو الميول إلى الجنس الآخر (شذوذ جنسية)

– قلت له بغضب "أخرج من هنا أيها الوقح" لوطي

بيت الأدب

أمسك بيدي سحبني نحوه بقوة، قاومت بكل ما عندي بقوة و لكنه

شخصٍ ضخم الجثة مفتول العضلات من أستسلم من الوهلة الأولى كنت

دائماً أحاول الفرار من قبضته.

إستطاع سحب بنطلوني بيده الضخمة حاول بأن يلمسني بقضيبه،

أستطيع الملاص منه لكمة لكمة قوية في رأس قضيبه حتى سقط أرضاً

وهو يصرخ صرخه صغير حاول كتمه و أمسك بقضيبه هرع أرضًا، يعلم
إذا صرخ سوف يجتمع كل من في القسم ولا يريد أن يفضح نفسه.

بينما هو ساقطًا في الأرض يحارب نشوة الألم ثم فجأة رأيت مسدسه
ساقطٍ بقرب منه أظنه بأن وقع عند سقوطه أرضًا.

هرولت وحملت مسدسه فوراً حملة صوبت نحوه،

هو تجمد في مكانها و أصبح يتوسل إلى كي أتركه.

– يا بني أنا أسف أعاني من هذا المرض منذ فترة و زوجتي قد كبر ولا ليس

بيت الأدب

لدي الجرأة للزواج من آخر

سامحني يا بني.

قبل قليل كاد أن يغتصبني الآن يتوسل إلى كي أتركه و يناديني بابني هل

هذا يعقل.

بدأت أحن عليه بعد ما وجدته يبكي بحرقة، بدأ ينتابني شعور الحسرة و
الندم.

ثم فجأة هرول نحوي بجنون، أمسك برأس المسدس ثم تعاركنا تارة
أصوب نحوه و طارة يصوب نحوي

سقطنا أرضاً، وبدأ الشجار يزداد سوءاً، قد نفذ حيلتي و عندما كدت أن
أنهزم سمعنا صوت المسدس، صوتاً زرع في نفسي الرعب، من الوهلة
الأولى ظننت هو من صوب إلى واني أن من أصبت، أعدت شريط حياتي
بسرعة أما هو إبتسم بحبث ظن بأنني أنا من أصاب و بعد برهة من الزمن
رأيت ينزف دمًا من بطنه ثم صرخ صرخة مدويًا ثم مات، مات الحقيرو
تركني في كارثة

وقفت على قدمي وأنا أنظر إلى الضابط الذي عائمًا في بركة من الدماء في
عالمٍ الآن وحده من يعرفه الآن هو في النار لأنه لم يمت شهيدًا أعلم ذلك
لم يمت شهيدًا

ثم صرخت بأعلى صوتي " لم يمت شهيدًا "

ثم فجأة تجمهر عشرات من البوليس أربكني نظراتهم إلى قائدهم الذي
يسبح في بركة من الدماء.

تلاشى أفكاري، الآن أنا عشت في كرامة ولا أهاب الموت، لم أمت مغتصبًا.

بيت الأدب

الفصل الخامس

أوسعوني ضربًا مبرحًا أنا لم أفعل ذلك، وإنما الشيطان الذي بداخلي قد قتل الضابط،

إنه لحظات مقدسة وهو مات صدفة، أنا أعلم نفسي برئ، إنه محاولة حماية النفس، لا بد من حماية جسدي من قضيب غاضب بسبب زوجة الذي منعه من الزواج عليها رغم إنها تعدى مرحلة الجنسية إلا إنها ما زالت تراه نفسه بريئة في سنة العشريني، سحقا.

بعد وسعت ضربًا أعتقني البوليس ثم أخذوني إلى زنزانة آخر مظلمة، و قدرة.

في صباح الباكر صحت على صوت صراخ البوليس

أخرجوني من السجن وفي الخارج كان الناس متجمهرين بكثافة، منهم من
يصور و منهم من ينعت بأقبح الألفاظ و منهم من يبكي على فراق الضابط
(الشاذ)

كنت في حالة نفسية سيئة للغاية، ثم رأيت سيارة غريبة جدا بدأ لي
سيارة نقل المساجين الأكثر خطورة.

أستيقظ الخرطوم على أنباء فاجعة حيث الصحف تصدر أغلقتها بأسمي
و إسم الضابط مرافقاً و صورته وهو في بحرًا من الدماء ولكن ليس
كالحال الذي تركها قد تم ستره من قبل البوليس أنا حين تركتها كان
نصفه الأسفل عاريا تمامًا، ولكن البوليس أحتالوا علي الصحف و الإعلام
هم أيضاً يعلمون مرض ضابطهم (يعاني من شذوذ جنسية).

لم أفكر في الطريق عن الذي حصل، كنت أفكر في والدي و والدتي وما هو
شعورهم عندما يعلموا بأن إبنهم قاتل، وهو الآن في الطريق إلى سجن

كوبر أخطر السجون في السودان، أزرفت بعض من الدموع ثم مسحت
خدي بسرعة كي لا يلاحظ البوليس الذي يجلس بجانبني.

كنت مكبل بقيود من الجنزير (حديد صلب يقيد به السجين حول عنقة
ويديه ورجله)

الآن الضباط في قبره يعذب و أنا الآن في الدنيا أعذب كان عليه أن لا
يتهور إذا تراجع عن تهوره كان الآن يجلس في مكتبة والآن أمكث في
الزنزانة، ثمة شعور يراودني بأنني لست مذنباً، رغم أنني أعلم بأن مصيري
هو الإعدام ولكني واثقة في نفسي و أنني سأكون من أصحاب اليمين و
سوف أكافئه بالجنة، لأنني لم أخطئ.

في سجن كوبر بعد اليوم الأول

كل الحضور قدموا إفاداتهم و كلها كانت متطابقة في أن واحد قالوا
جميعًا (الضباط ذهب طيبًا جدًا مع السجناء وفي كل صباح هو بنفسه
يذهب ويقدم الشاي للسجناء وفي تارة أخرى يقدم لهم لبن)

– متى كان الوقت !!؟

قالها أحد الضباط مشيرًا إلى أحد البوليسن.

– في السادس صباحًا يا سيدي.

– كذب كذب !؟ كلهم كاذبون أتاني الضابط في منتصف الليل.

قلتها منفعلاً وليس ما إن لبثت حتى أتاني صفة قوية جدًا على أثره
سقط أرض.

– أصمت؛ خذوه إلى الزنزانة المحكمة بعد الغد.

قالها الضابط قبل أن يسمع إفادتي.

أتيت إلى الخرطوم للتحقيق أحلامي و ظننتها نعيمًا وها أنا الآن أذهب إلى
الجحيم!!

كان بإمكانه أن يقول أنقلوا المهندس إلى الإقامة الجبرية و لكن هيئات
هيئات.

أنقلوا المجرم إلى الزنزانة!!

في داخلي صوتان أحدهم يقول بأني برئ و الآخر يقول بأني مذنب يا ترا
أيهما أقوى صوت الحق أم الباطل!

بيت الأدب
الآن أصوغ و أصنع مبريرات بداخلي بأني برئ شرعاً.

إذا كان الحكم شرعيةً و بالعدل فأنا برئ كبرائه طفل ولد حديثاً يبكي ولا
يعلم لما يبكي و من هو ؟ و من هؤلاء الناس الذين يحاولون تهدأته!؟.

هو مات شرعاً كموت كل شاذ رمياً بالرصاص هذا هو حكمي، ولكن هل
أنا مخطئ!؟.

جلست في ركن الزنزانة أعيد شريط ذكرياتي غارقاً في بحرٍ من الإحباط ولو
أنني بدأت أحس بالغثيان ، نتيجة تراكم الهموم؛ ما هو موقف والدي هل
يأتي والدي أم يستغني عني، أعلم بأن والدي سوف تأتي حتماً ستأتي.

بما يشعرون الآن كيف أبرر لهم بأني برئ من كل هذا التهم، شعرت بشئ
من التحفيز الذاتي عندما تذكرت بأن والدي يثق بي و أن ابنه محال أن
ليس قاتل بل محال أن يقتل حتى ولو ذبابة.

يتوارني سيلان من الإكتئاب و بين الحين والآخر أرفع رأسي إلى الأعلى ألا
يتوقف شلال دموعي المتناثر الغزير.

في صباح القائظ أستيقظت علي صوت حرس الزنزانة أتى بالماء و طعام،
الطعام عبارة عن حبيبات قليلٍ ووبعض من شوربة العدس.

كنت في زنزانة متفردة كتب على ظهره {مجرم خطير}

إبتسمت إبتسامة خبيثة واسعة على أركان فهي و إتهمت كوحش جائع
منذ قرون عدّ.

أتى مدير السجن ذو البطن الكبير يلبس الذي الرسمي بدأ لي متغرطس
الشخصية أنتهزني و وبخني (تقتل ضابط يا وسخ)

(عقوبة كل لوطي هو الموت اي بكتل)

رمقني بنظرة شرسة عيناه حمراء كسكير (يعني أثمل)

تقعر عيناه وقال بصوت اجهش (تموت مثل الكلب)

بيت الأدب

فكرت كيف يموت الكلاب و للوهلة الأولى كنت سأغرق في التفكير ثم

فجأة علمت بأنني في وضع حرج و التغمس و الفلسفة لم يجدي نفعًا في

هذا الوقت العصيب.

الفصل السادس

الآن لا شئ فوق المقدره هذا هو مصيري لا مجال منه و تمنيت أن أكون
الذي فيه الآن ليس إلا سوا كابوس لا أكثر و سأستيقظ و أجد نفسي في

منزلنا أسمع صوت والدتي تناديني (يا ولد قم أشرب الشاي)

لقد تعلمت درسًا قاسيًا ولو أنني قد أدركت بأن الحياة ليس بهذا القسوة
وإلى هذا الحد؛ إنها خدعة

أنت وقعت في فخ مدير الشركة.

هناك صوتًا يقول ما فعلت صوابًا و أنني من أولياء الله الصالحين و قد
حصلت على ثواب و أجرٍ كثيرة.

القضاء على مثل هؤلاء البشر ليس محرّمًا بل و جب على ذلك لأنني أنقذت
كثيرًا من الشباب الذين يدخلون السجن بسبب مدير الشركة و بعدها

يقوم الضابط بالتحري معهم و يمارس معهم الرزيلة بشرط أن يكون حرًا
طليقًا في الغد كما قال لي ذلك يوم.

إنه شبكة إجرامية خطيرة يجيب أن يوضع حدّ له

الآن تبقى مدير الشركة الآن علمت بأنهم شركاء في هذا العملية.

إذن مدير الشركة يرفض كل شاب جميل و جذاب و يجبرة أن يأتي اليه في

مزرعته ولو رفض الشاب يحاول يستفذة بأي كلمة جارحة و هكذا يهيج

الشاب و يهاجم على المدير و المدير بدوره يتصل لى نقطة البوليس، و بعد

أن يسجن هذا الشاب، يحاول الضابط التعاطف و معه و يحضر له لبنًا و

لقيمات و أكلٍ نظيف و بعدها يستغل الفرصة و يطلب من الشاب أن

يمارس معه الجنس و إذا رفض يغيره بالحرية و إذا رفض يغيره بالوظيفة

بحجه يقنع مدير الشركة و هكذا كثيرًا من الشباب يخسرون كرامتهم من

أجل الوظيفة و المال و هو بالأمس الحاجة إلى الوظيفة و إلا سيموت بالجوع

أما الجوع أو فقد الكرامة.

و لكن السؤال أنا أعلم مصيري هو الموت إذن من سيقتل مديرة الشركة!!؟؟

أنا الآن رضيت بنفسي و يعمني الإيمان الكامل

– قتل الشاذ من الإيمان

ثم ضحك بأعلى صوته

ثم صرخ بأعلى صوته :

(قتل الضابط من الإيمان)

ثم ضحك ثم صرخ إلى أن نعس و غفوة عليه.

الوقت يقارب العاشرة صباحًا

حارس السجن.

– لديك ضيوف!

ضيوف! من هم ألم ينسوني.

نهضت من سرير الحديدي بكل كسل، سرت كالكسكير أتمايل عيناى
نعستان.

دخلت غرفة الإستقبال، لأجد والدي و والدتي و عمي الذي رفض بأن
يزوجني إبتها بسبب عدم إمتلاكي و بهذا السبب أنا هنا الآن.

أردت بأن أحصل على وظيفة و توفير بعض من المال كي أتزوج الفتاة
الذي أحببتها ولكن كل شئ ذهب في لمح البصر هبناً منثورا.

قال الحارس لا يسمح بالزيارة إلا لشخصان و ثالثهم المتهم.

نعم المتهم البرئ. استأذن عمي خرج بعد أن أسدل كفه في كتفي بغرض
التحفيز.

كنت في شفا حفراً من الجنة الآن في شفا حفراً من النار.

جلست في الكرسي؛ ساد الصمت برهة من الوقت كانت والدتي تزرف بالدموع كهطل المطر في كل دمعة كنت أتألم بصمت.

والدي عيناه على الأرض يجلس جلسته المعتادة بشامهة أخلاقية، كنت أحاول إيجاد مبررًا واحدٍ فقط ولكن خانني الذهن لم أجد ما يثبت برائتي تركت أمري لله الأحد.

– هل ما يتداولون الناس عنه صحيح.

قالها والدي بكل برودة و كأنه يتحدث مع طفل لم يبلغ الخامس ربيعًا.

أقشعر جسدي شل دماغي، ثغري أصبح مثل الصخرة لا أعلم ما أتفوه به.

تمنيت أن لم أتى في هذا الدنيا تمنيت الموت السؤال كان كالحنجرة غاص

في عنقي و خرج من مؤخرة رأسي. ما الفائدة من الحياة الذي عشتها

الضعف ووالإنكسار الذي أحسستها الآن و الخوف الحقيقي لم أحس بها

طوال حياتي.

في الحقيقة يا والدي ما حدث هو سايكوبوتية و دفاع عن النفس البشرية
الذي وصل في مرحلة من حياته أما أن يموت أو أن يعيش بدون كرامة.

الموت بالليبراليه أفضل من الموت بالإمبريالية.

– نعم قتلتها.

قلتها دون سابق إنذار لقد خانني ثقري اللعين كيف له أن ينطق كلمة
"قتل" أمام والدي ووالدتي.

ثم فجأة رأيت معالم وجه والدي يتغير و قد تعكر صفو مزاجه أعرفه
جيداً، الآن يسبح في بركة من القهر والغليان أما والدتي قد شهق بالبكاء.

وعلّ صوت بكائها عيناها الرقيقتان أصبحت دامعة.

أي مصيبة هذا أي معاناة وقعت بها لماذا فعلت كل هذا.

هم والدي بالرحيل غاضباً دون أن ينطق بحرف في حين إحتضنتني والدتي

وهي تبكي ثم بكينا سوياً.

مسحت الدموع الدموع من خديها الوردية البكاء لا تشبهكي يا أماه لا
تبكي.

في هذا القانون يا أماه القوية يأكل الضعيف.

إنه لحظات صعبة لا تتركني يا أمي.

– إنتهاء مهله الزيارة.

قالها الحارس وهو ينظر إلينا محتضنين بعضنا البعض وقد بدأ هو أيضا
تأثروقد حتى على والدي وشفق على أنا.

بيت الأدب

الفصل السابع

إحتضنتني والدي حزن وداعٍ ثم قالت بعينات دمعات (سوف ادعوا لك يا بني أحبك).

هنا شعرت بالطمأنينة و كأن حضنها زادني قوة و أملٍ و تفائلٍ، أصبحت قريباً من الموت ولكني لست خائفاً بعد ثلاثة أيام سوف نتوجه إلى بورتسودان و هناك تقام مراسم الحكم ألا وهو شنقاً حتى الموت، بعد أن تم الحكم على بدون محكمة لأنها كل الأدلة تثبت أنني المتهم الأول و الأخير.

قالوا بأن الجريمة واضح كشمس بيت الأدب

و القاتل يقتل كما نزل في شرع الله.

ولكن هل أنتم تنفذون شرع الله ام شرعكم الشيطاني.

رافقني الحارس إلى الزنزانة، كان والدي ينتظرني عند المخرج بقرب من باب الإستقبال بدأت مريباً ولكن تمثلت بأفضل حال.

وضع والدي كفه في كتفي ثم قال {عندما تموت مت رجلٍ} بمعنى الكلمة لا "ترتجف" قد وصل رسالتك يا والدي لا تخف أبنيك كالجبل لا يهزه الريح.

رمقني بنظرة شهامة و كبرياء ثم غادر ورأسه مرفوعًا يعمل أن ابنه يموت رجلٍ ولا يفقد كرامته.

أصبح الليل كله يفكر في كلام والده (موت رجلٍ) أصبح يتكهن لأي شيء لأنه لا مجال من حبل المشنقة لطالما اعتبر نفسه برئ من كل هذا من التهم الموجهة له.

تذكر حياته الماضية لم يكن لديه أدنى تصور بما يحدث له في المستقبل كان دائمًا يحلم بحياة إدارية، أن يكون مسؤولٍ، من نفسه وعن أسرته الكريمة، أن يتزوج الفتاة الذي أحبها ويسكن في كوخ صغير في حيث يزرعون ويحصدون كل من الفول و القمح و القطن من شتى أنواع الذرة.

يهول مع زوجته و أطفاله تحت خطأ المطر يرقصون مع صوت الرياح وهي
تمر بي سنابل القمح يصدر صوت كلاسيكية عزبه هادئاً تطيب النفس،
السماء ملبد بالغيوم و الأرض تفوح منها رائحة التربه المبتل والأشجار
تعزف على أوتار أغصانها، وفي العشاء يتبادل أطراف الحديث مع زوجته
وبدروها تعمل له المساج تنسيه كل تعب عمل اليوم في الحقول.

هكذا كان أحلامه بسيطة جدا قبل ما يفرق في ثنايا الخرطوم، الآن رأيت
الحياة عن كثب وما قسوته،

الخرطوم هو نفس الخرطوم الذي نعرفها نفس الطباع ونفس المجتمعات،
العنصرية و التنمر منتشره كفيروس فتاك يصيب كل أكبر، أصبح البنية
البرجوازية لا يحترم البنية البروليتارية و أما البنية الأرستقراطية لا يحترم
الإثنين معاً.

الإنسان ولد مكرماً محترماً، لا أعلم لماذا يتكبر إنسان على أخيه الإنسان،
إنه مثلك في كل شيء، أي عضو تمتلكه هو أيضا يمتلكه،

مثل هذا الأفكار الضبابية يفسد صورة المجتمع

علي قول مصطفى سيد احمد إذا كنت تظن الحياة هكذا وإن الحياة عبار
عن برجوازيين مثلك (تف يا دنيا تف).

جلست في السرير في ركن الشرقي من النزنزة ألقيت جسدي المرهق على
السرير مددت كل لحافي،

أنظر إلى السقف أحاول إرجاع سرد شريط ذكرياتي علي أهرب الواقع
المريـر.

غداً سيصلب روحه يكاد يراه نفسه أمام بحر الأحمر "بورتسودان" و
الحبل يلتف حول عنقه يسمع هتافات الجماهير

شنقاً حتى الموت

القاتل يقتل

اكتلوا الوسخ دا (بمعني اقتلوا هذا الوسخ) كلمة وسخ دلالة علي عدم النظافة وفي بعد الأحيان دلالة علي عدم نظافة الضمير.

فجأة أسمع صوت مفتاح وهو يدخل في القفل تبخر كل تلك الحشود و البحر و فجأة رأيت نفسي في زلت في الزنانة، حينها تنفست الصعداء.

– جهز نفسك غدًا موعودك، قالها الحارس وهو ينظر إلى وقبل أن يرحل أردف قائلاً:

– اليوم آخر يوم لك صلي الليل كله ولا تنم رغم ذلك أراك في الجحيم ولكن " إن الله غفور رحيم "

إبتسم إبتسامة ملوية علي أركان فمه ظهر فيه أضراسه الصفراء، أسنانه مدمن صعود (الصعود هو التمباك)

صدري يغلي غيظًا لو عادوا لي الضابط الغدر مرا أخرى و حيروني بين قتل

الضابط أو قتل هذا الحرس اللعين لقتل الإثنين معًا تبا لهم جميعًا.

لم أصلي الليل كله كما قال ذاك الحرس المتغرطس،

إستيقظت الثالث صباحًا تؤضيت إستخرت الله، نفلت مرتين و ثلاثة إلى

سته مرات، بعده صليت الصبح في الرابع و النصف صباحًا دعوت الله أن

يغفر لي و طلبت من الله بر الوالدين إحسانًا.

- أخرج يا غلام قالها الحارس وهو ينظر إلى بنظرة به كثير من الغرور و

الشفقة معًا، حتى لو كان عسكريًا فإنه لديه قلب من الطبيعي أن يحن

على غيره.

الفصل الثامن

وقفت بقامتي رافعاً رأسي أكاد ألمس سقف السجن نفحت صدري تمتلئ

هواءً، نظرة إلى الحارس بدهشة في حير من أمره و خاطر في ذهنه :

من أين لك كل هذا الشجاعة أنت سوف تعدم بعد ساعات

ألا يرجف لك جفن ولكنه تماسك ولم و مشى بكل كبرياء من ما وقف

الحارس ينظر إليه يكاد يركع له و يقبل يديه و قدمه ت رأسه و يقول له :

من أين تعلمت الشجاعة و الوقار أخبرني أرجوك.

بيت الأدب

كل عسكري يتمنى الشجاعة ولو كان الشجاعة بالمال لاشتروها.

إستنشقت الهواء الطلق ملئت صدري بريح الخرطوم

ضربني الشمس من ذات اليمين و ذات الشمال و من فوق إلى تحت، رغم

فصل الشتاء ولكنها خارقة تذكرت مقوله علي بن أبي طالب رضي الله عنه

{لا تثق في إثنين : شمس الشتاء ولا في النساء} "كرم الله وجهه"

لم أره الشمس لخمس أيام، حجبت الشمس من عيني مستخدمًا يداي
المكبلتان بسلاسل من الحديد.

يداى و رجالي مقيد بسلاسل كلما أخطو خطوة أسمع صوت تصادم
السلاسل مع بعضها

كفتاة تلبس أكسسوارات ترقص على ألحان الموسيقى في حفل زفافها
ولكن أنا ارقص على ألحان الموت.

صعدت السيارة جلست على أريكة طويلة بإستطاعة حمل عشرة
أشخاص وأكثر.

بصراحة لم أتفاجاة بعربة النقل، ولو أنني كنت أتخيل في الصغر سيارة
نقل المساجين هو عبارة عن سيارة من ماركة مارسيدس أسود موديل

حديث.

وجدت نفسي ما زلت شابًا في ريان شبابه ثمة أمور كثيرة لابد من فعله،
بلدان كثيرة لابد من أن تزار.

أحب الحوارات والنقاشات مع المثقفين؛ آه وصلنا مشروع الجزيرة،
الجزيرة جميلة جدًا، هذا الأرض الحصبة تحمل في طياتها كثيرًا من الخير،
إنه مشروع مكتمل حيث إذا نجح زراعة كل مشروع الجزيرة تستطيع أن
تأكل كل السودان عامًا و أعوام إذا كان هناك عدل، محزون الذرة أمر
مهم للغاية، إنه نوع من أنواع الخطط البديلة أو الإحتياطي.

مررنا بمدينة ود مدني، الذي ذكرته حين ما كنت في السجن في بحري قبل
أن أقتل ذاك الضابط اللعين تبا لك كل هذا بسببه.

الأرض في ود مدني يافع الأشجار على ضفاف النيل

والنيل يفيض و ينتفح صدره على جنبه ينبت بعض من أزهار العوير
(نبات ينبت في أماكن المائية).

ها هناك جبال الفاو ذات القمم العالية.

ها هنا القضارق بلد السمسم حيث هنا يصدر أغلب ذرة السمسم ثم يتصدر إلى شتى أنواع من الدول، نحن سلة غذاء العالم.

أكاد أراه ضواحي القضارق، القطاطي (مفردة قطية وهي بيت من القش تبني من طين على إرتفاع مترين أو ثلاثة و بعدها تكمل بالغش على شكل مثلث نجدها أكثر في الأرياف) و بيوت الوبر و الرواكيب (مفردها راكوبة هي أيضا تبني من الغش دون طين مثل الزاوية الفرق بينهم الزاوية من حديد و الراكوبة من الغش)

ها هو خشم الغربية أكاد أراه خزانة الضحم و نهره القوام ينبت علي حافته شجرة الصفصاف و المزارعون الذين يزرعون البرسيم علي الضفة الشمالي من النهر.

ها هناك بلد الحضارات "كسلا" أره بوضوح قمم جبال التاكة " توتيل"
أكاد أسمع هشاشة القاش (القاش منطقة ذو بنية تحتية ضعيفة أو
سيئة للغاية)

أصوات بواخر السواكن قال لي البوليس الذي يجلس في جهة المقابلة :
- تبقى لنا ربع ساعة من الوصول اقرأ بعض الآيات القرآنية لعلني يشفع
لك.

ثم ضحك وهو ينفث سيجارة بطريقة مغذية و مستفز. لم أهتم بما قالها
لم أعر له إهتمام.

لدي ثقة بأني برئ و أنتي من أصحاب الجنة و أشعر أنني أصبحت من
أولياء الله الصالحين و أموت شهيداً.

وصل العربة المتهم البرئ إلى ساحة المعركة أو ساحة كما أسميها أنا و
الموت في المعركة شهادة.

رأيت نفسي في معركة أحد أقاتل المشركين بصيفي وهو صيف الحق،
أسقط المشركين كحجارة السجيل.

كرست حياتي كله بأن أعيش بكرامة و أموت بكرامة

هل الإعدام كرامة؟؟

في جوهرية اليوم فقدت كل أملي في الحياة التي حلمت بها.

أحضرت لي أحد الحرس طعامًا شهياً وماءً نقيًا قال :

– أعلم أنك في السجن لم تتناول مثل هذا الطعام منذ مدة لذا تناول

هذا الطعام الشهي عسى يكون لك آخر نعيمٍ بعدها لا تراه النعيم أبدًا.

ليس كل من يعدم يذهب إلى الجحيم، أمثالي و أمثال الكثيرين أبرياء،

ولكن فساد القانون له وجه نظر.

و بعد برهة من الزمن بينما كنت أمكث في الداخل أتى أحد رجال الأمن،
ضحم الجثة مبتور العضلات قوية البنية يلبس كنز أسود مع بنطلون
أسود.

رافقني الرجل الأمن، سحبني مثل الكلب حتى السلاسل يتضارب مع
بعضها يصنع نسيج من الأصوات.

هاتفتم أسرتي، والدي والدي إختوتي الصغار

قلت لي اخي الصغير وهو يبكي :

– "لا تبكي يا صغير سوف نلتقي في ذلك العالم الآخر

سوف نلتقي في الجنة ثم بكينا سوياً".

آه الآن حان الرحيل، أشعر بأن الله يحبني و أراد لقائي ما أعظم هذا

اللحظات

يقولون عندما يموت شخص وهو صغير في السن (إن الله أحب لقاءه
لذلك أخذه الله منا)

كأني أشعر بأن ملائكة الرحمان يقفون خلف هذا الحبل

طوق الحبل حول عنقة، أصبح ينظر إلى المتجمهرين،

شكرا الله عندما لم يأتوا والدية هو من طلب منهم ذلك

ألا يحضروا إلى مكان الإعدام إلا بعد موته حينها يأتوا كي يستلموا الجثة و
يدفنوه إذا لم ترفضه الحكومة ذلك.

بيت الأدب

لا يريد أن يموت أمام عين والدية.

أصبح يشعر بحناق ثم رويدا رويدا أصبح يشعر بصعوبة في التنفس ثم

فجأة وجد نفسه معقلاً في حبل المشنقة،

يحرك يده في الهواء كأنه يحاول الإمساك بشيء ما

ورجله يرجف في الهواء كأنه يحاول الثبات بشئ.

نطق آخر جملة وهو يراه إبتسامات البوليس والحرس

(أشهد أن لا إله الا الله و أشهد أن محمد رسول الله)

ثم إبتسم إبتسامة واسع هزت قلوب كل الحضور ثم مات.

هو الآن في عالم آخر لا يعلمه إلا الله.

بيت الأدب

تمت بحمد الله.